

من اللوعة العليا . تلك القدرة على الهيام والهوى . ليس لى منها
حصّة تبقى ، فما لأغلالها فى عنقى لا تنزع ولا تبلى ؟» .

* * *

نظم بيرون هذه القصيدة فى عيد ميلاده السادس والثلاثين ،
ولم يكن يعلم أنه عيد ميلاده الأخير الذى لا حب بعده ولا
حياة ، ولكن هكذا كان على ما أراد - أو على غير ما أراد - فماذا
تغنى السنون القصار أو السنون الطوال ؟ إنما هى حالات تلم
بالنفوس فى كل حين ، وإنما التفاؤل والتشاؤم لسانان يقولان ،
والزمن وحده يصدقهما أو يكذبهما فيها يقولان .

فإن تشاءمت أيها الصديق بأعاصير الغروب فاذكر متفائلاً أن
ساعات الغروب هنا بغير حساب . فمنذ سنين جمعت دواوينى
الشعرية فسميت الجزء الأول منها «يقظة الصباح» وسميت الجزء
الثانى «وهج الظهيرة» وسميت الثالث «أشباح الأصيل» وسميت
الرابع «أشجان الليل» . . . ثم ظهرت لى بعد ذلك الليل وأشجانه
ثلاثة دواوين هى : وحى الأربعين ، وهدية الكروان . وعابر سبيل ،
ثم ها نحن أولاء فى هذا المغرب وفى هذه الأعاصير . . . فهل
نحن راجعون ؟ وهل للشمس من «يوشع» يؤجل لها مواقيت
الغروب ؟ إن كان للشعر «يوشعه» فليس نصيب بيرون فى ضحاه القاتم
نعمة أرتضيها ، وإن كانت الكلمة فى هذا للقضاء يفعل ما يشاء ، ويتبع
أسلوبه فى الإطناب والاقتضاب حين يرتجل كل كتاب .

عباس محمود العقاد